

صورة الطفل في التراث العربي

أ/ عبد الرزاق بن السبع

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الحاج لخضر باتنة.

Résumé

Le thème de Cet article a pour but de mettre en exergue l'image de l'enfant telle quelle se présente dans notre patrimoine arabe ancien (poétique et littéraire) et cela pour répondre à ceux qui disent que les arabes n'ont jamais connus une littérature pareille tandis que les textes prouvent le contraire à travers des images bien précises de cet art malgré qu'il se diffère de ce qu'on connaît actuellement.

L'article contient aussi des arguments de ce patrimoine ancien (djahilites et islamiques) à travers ses différentes étapes comme il contient aussi les ouvrages importants qui ont étudiés l'enfant et sa littérature dans le patrimoine arabe ancien

الملخص:

يتناول هذا المقال صورة الطفل كما وردت في تراثنا العربي القديم شعرا و نثرا للرد على أولئك الذين يدعون أن العرب لم يعرفوا أدب الأطفال في حين أن النصوص تثبت عكس ذلك حيث انطوت على ملامح واضحة لهذا الفن حتى و إن لم يكن بالصورة التي هو عليه الآن.

و قد تضمن المقال شواهد من التراث القديم جاهلية و إسلامية في عصورها المختلفة إلى جانب رصد لأهم المؤلفات التي تناولت الطفل و أدبه في التراث العربي القديم.

إن القارئ المنصف والموضوعي لتراث العرب لا يمكنه أن ينكر أن ((أغلب المؤلفات التراثية اللغوية و الأدبية تناولت بين ثناياها أدب الطفل و مكانته و تربيته وتهذيبه منذ زمن مرحلة المهد إلى بداية مرحلة الفتوة و الشباب ، و صورة أدب الطفل في التراث العربي لم تهملها الحياة العقلية العربية كما يتصور بعض الباحثين فهي ليست غائمة أو ساذجة وإنما حفلت باهتمام الكتاب و العلماء و الأدباء يعدل اهتمام الآباء والأمهات و رجال الدين⁽¹⁾).

و إذا سلمنا بأن العرب قديما لم يعرفوا فنا أدبيا ناضجا خاصا بالأطفال فإن الباحث المنصف سيجد حتما ((بعض المؤشرات الإيجابية التي انفرد بها الأدب العربي دون غيره و تميزه عنها:

1- كالاتمام المبكر بالتربية الشاملة للأطفال روحيا و جسديا منذ مجيء الإسلام الحنيف بهدف خلق الإنسان الجديد نواة المجتمع الإسلامي الناشئ .

2- وجود أرضية خصبة لأدب الأطفال تضمنها التراث الأدبي الواسع، وهذه الأرضية تشكل مادة غنية لأدب جديد متناسب مع ظروف العصر ومتطلباته⁽²⁾.

ويقف التراث العربي شاهدا على حب العرب لأبنائهم و حرصهم على تنشئتهم التنشئة المثلى ، فقد وردت في ذلك نصوص كثيرة من القصة والشعر والحكاية و لكن للأسف لم يدون منها الشيء الكثير و لم تكن محل دراسة من لدن الباحثين و ربما ((...كان السبب في ذلك أن مؤرخي الأدب لم يكونوا يهتمون إلا بتاريخ أدب الناشئين ... أو ربما كان ما يقال للأطفال وعن الأطفال يعد تافها لا قيمة له لأنه لا يدر ما لا ولا يجني منه الشاعر صلة لذلك مات أدب الأطفال و بقي الشيء العظيم من أدب الكبار))⁽³⁾.

على أن ما بقي من هذه النصوص تدل على اهتمام العرب بالطفولة و احتلالها حيزا في خارطة الإبداع العربي القديم فهم فلذات أكبادهم و قررة أعينهم كما جاء في قوله تعالى ﴿و الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و ذرياتنا قررة أعين و اجعلنا للمتقين إماما﴾⁽⁴⁾ بل هم زينة الحياة أو الحياة نفسها عندهم ﴿المال و البنون زينة الحياة الدنيا﴾⁽⁵⁾.

ومن هنا فلا عجب حين ينطوي هذا التراث على نصوص تتعلق بالطفل وتصور عاطفة العرب نحو أبنائهم حتى و إن كان هذا التراث العربي في خطوطه

العريضة والثابتة المعالم لم يعط للطفولة بروزاً محدد الأبعاد وسمات كاملة التكوين فإنه لم يعدم من المعانقة الوجدانية للإحساس الطفولي ورصد إرهاباتها المبكرة والتفاعل بها والنقل عنها بشكل من أشكال التعبير الأدبي⁽⁶⁾.

و يمكن اعتبار الهددة و الترقيص البذور الأولى لأدب الأطفال عند العرب ذلك ((أن شعر الترقيص لم يكن دائماً يقصد به تسليية الطفل فحسب و إنما كان أحياناً رمزاً لشيء بعيد أو كتابة عن أمر يحز في خاطر))⁽⁷⁾. ولذلك عد الكثير من مؤرخي أدب الطفل العربي ((أغنية المهد أول شكل أدبي في التراث الأدبي يخاطب الطفولة ويقصد إلى أحداث تناعم و إمتاع لدى طفل المهد ، فمن الكلمات المنغمة و هز المهد واحتضان الطفل وهددته و ترقيصه نشأت أشكال لغوية منغمة يمكن اعتبارها الكلمة الأولى في تراث أدب الطفل))⁽⁸⁾.

و النماذج من هذه الشعار كثيرة و قد جمع عبد الرزاق جعفر قسماً كبيراً منها في مؤلفه (أدب الأطفال)⁽⁹⁾.

((و مما حفظه لنا تاريخ الأدب هذه الأغنية التي كانت ترقص بها إحدى نساء الأعراب طفلها :

يا حبذا ريح الولد

ريح الخزامي في البلد

أهكذا كل ولد

أم لم يلد مثلي أحد⁽¹⁰⁾

و كانت الشيماء بنت حلينة السعدية أخت النبي صلى الله عليه وسلم في الرضاعة ترقصه لأنها كانت تحضنه مع أمها تقول :

هذا أخ لي لم تلده أمي ليس من نسلي أبي و عمي

فأنمه اللهم فيما تنمي⁽¹¹⁾

و الأمر لا يقتصر على هذه النماذج من الهددة و الترقيص بل أن المتصفح لأدبنا العربي القديم يجد أن الطفل -هذا الرجل الصغير- كان موضوعاً لمواقف مختلفة متباعدة بسبب رؤية المجتمع العربي لهذا الكائن ومنه يمكن إجمال هذه المواقف في النقاط التالية :

1- موقف يعتبر الأطفال وسيلة لإثارة الشفقة و الهمة في قلوب الحاكمين والممدوحين من ذوي الثراء كما يفصح عنه الحطيئة في قصته الشهيرة مع الخليفة الفاروق عمر من الخطاب:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء و لا شجر
2- موقف يعتبر الأطفال عبئا وجوديا و ماديا و مسؤولية اجتماعية أنيطت بعنق العربي تفرض عليه المجاهدة و المكابدة من أجل توفير حياة كريمة لهم كما يتجلى في قول مالك بن الطوق :

و منه كذلك قول حطان بن المعلى :

أنزلي الدهر على حكمه	من شامخ عال إلى خفض
و غالي الدهر بوفر الغنى	فليس لي مال سوى عرضي
أبكاني الدهر و يا ربما	أضحكني الدهر بما يرضى
لولا بنيات كزغب القطا	رددن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع	في الأرض ذات الطول و العرض
و إنما أولادنا بيننا	أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم	لأمتعت عيني من الغمض ⁽¹²⁾

3- أما الموقف الثالث فهو موقف وجداني عاطفي و شعور فياض بالحب والخوف يمتد من ذات العربي إلى الخارج كما في قول الأعشى :

تقول ابنتي حين جد الرحيل	أرانا سواء و من قد يتم
أبانا لا رمت من عندنا	فإننا بخير إذا لم ترم
و يا أبتا لم تزل عندنا	فإننا نخاف أن نخترم
أرانا إذا أضمرتك البلا	د، نحفي و تقطع منا الرحم ⁽¹³⁾

4- و رابع موقف و هو كثير الورود في تراثنا العربي القديم يتبدى فيه الأطفال زهورا جميلة و ثمارا هي قاب قوسين أو أدنى من أن تتبغ و لكن يد القدر والموت تمتد لها قبل الألوان فتكون الفاجعة و الرزية ولعل ابن الرومي أبرز من مثل هذا الموقف ، يقول:

توفي حمام الموت أوسط صبيتي	فله كيف اختار واسطة العقد
على حين شمت الخير من لمحاته	و آنست من أفعاله آية الرشد

ألح عليه النزف حتى أحاله
و ظل على الأيدي تساقط نفسه
محمد ما شيء توهم سلوة
أرى أخوك الباقيين كليهما
إذ لعبا في ملعب لك لذعا
فما فيهما لي سلوة من حزازة
و أولادنا مثل الجوارح أيها
إلى صفرة الجادي عن حمرة الورد
ويظوي كما يظوي القضيب من الرند
لقلبي إلا زاد قلبي من الوجد
يكونان للأحزان أوري من الزند
فؤادي بمثل النار عن غير ما قصدي
يهيجانها دوني و أشقى بها وحدي
فقدناه كان الفاجع البين الفقد (14)

و منه أيضا هذه الأبيات المؤثرة التي تحملنا على جناح الألم للشاعر الأب حارثة بن شرحبيل حين يصور عاطفته تجاه فقد ابنه في كلمات تبل اللسان بمرارة لا يتجرعها إلا من عاش التجربة ((فالأب يروح و يجيء ويستتطق في رحلته البائسة اليائسة كل الأشياء و يظل في مناجاة نفسه يعاني منها لأن حديث النفس حينئذ هو نواح و بواح فالأب يغدو جزعا و يروح حزينا و تستبد به الطنون من كل جانب فيتفجر أسي و لوعة و إبداعا ، يقول مصورا فقدان زيد :

بكبت على زيد ولم أدر ما فعل
فوالله لا أدري و أني لسانل
و يا ليت شعري هل لك الدهر أوبة
يذكر فيه الشمس عند طلوعها
و إن هبت الأرواح هيجن ذكره
سأعمل نص العيس في الأرض جاها
حياتي أو تأتي علي منيتي
أحي يرجى أم أتى دونه الأجل
أغالك بعدي السهل أم غالك السهل
فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
و تعرض ذكراه إذا غربها أفل
فيا طول ما حزني عليه و ما وجل
ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
فكل امرئ فان و إن غره الأجل (15)

و هكذا فإن الطفل عند العرب قديما لم يعد موضع رعاية و حب فحسب بل لعله كان و ما يزال محط اعتزاز و تجسيد رجاء تكتمل به لذة الحياة و زينتها ، و لذلك صرف العرب الكثير من أشعارهم للتغني به لأن الشعر عند العرب كما نعلم هو أداتهم في الإمتاع و الإقناع و بوح قلوبهم حلقوا به في أرجاء الحياة على جناحي العاطفة ((تنتال من بين ثناياه أحلام العقل و آمال القلب و بخاصة حين يتوجه هذا النوع من الشعر بالإيقاع الخفيف المنغوم إلى الطفل منذ أن وعت أذنه الصوت و استقر بصره على

وجه أمه فكانت أغاني الأم لطفلها بذرة هذا العطاء الغزير من الشعر الكثير الذي وصل إلينا من تراثنا قبل الإسلام و بعده))⁽¹⁶⁾.

و ما يكاد الإسلام يشع بنوره على شبه جزيرة العرب حتى أحدث تلك الهزة العنيفة في كل مجالات الحياة العربية ليكون للطفل نصيبه المفروض و مكانته في هذا العهد الجديد فإذا بالقرآن يخصص حيزا لهذه الطفولة و يوصي بها خيرا في كل الآيات التي وردت تتحدث عن الطفل يتيما أو في رعاية والديه ليضمن له حقوقه في الحياة الكريمة يقول تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾⁽¹⁷⁾ و يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾⁽¹⁸⁾ بل أن الله تعالى قد ذكر البنين ضمن ما زين للناس حبه ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ...﴾⁽¹⁹⁾ حتى أن السياق القرآني يفاجئنا في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾⁽²⁰⁾ خلافا لما كنا نتوقع حين تأتي كلمة "طفل" في صيغة المفرد بدلا من صيغة الجمع (أطفال) . يقول وليد منير ((إن تشابه بني الإنسان في المرحلة الأولى من الطفولة تشابها يلغي الاختلاف كافة ، يعني كونهم في هذا الطور من العمر ماهية واحدة كأنهم في هذه الحالة طفل واحد بحصر كل المرموزات))⁽²¹⁾.

و لم يعد رسولنا الكريم في إعطاء القدوة و المثل للأطفال و إبراز الأسس التي يجب أن تقوم عليها التربية الإسلامية الصحيحة للأبناء تأسيا بالهدي النبوي الشريف فمن ذلك قوله عليه السلام (من قال لصبي تعال هاك (أي خذ) ثم لم يعطه فهي كذبة)⁽²²⁾. ((و في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال إنكم تقبلون الصبيان و ما نقبلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك))⁽²³⁾ و هو جواب هذا الأب المثالي في الأمة و المجتمع الذي كان ((يلطف الصغار و يمسح على رؤوسهم و يلعب معهم و يراهم و يواجههم و يمازحهم و يطيل السجود أحيانا حتى يظن المسلمون أنه قد حدث له شيء ثم يقول بعد انتهاء الصلاة إن ابني الحسن -ابن بنته- قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته))⁽²⁴⁾.

و مع هذا الحنان و الرحمة المتدفقين من رسولنا الكريم تجاه هؤلاء الأطفال فهو لا يعني أبدا الإسراف و الغلو فيهما حتى لا يشب الصغار ضعاف النفوس مسلوبو الإرادة، لذلك نرى الإسلام ((يدعم هذا الحنان بقيمة أساسية من قيم التربية و هي التوجيه

و التعليم و الإرشاد بأشكال وأساليب متناسبة مع سن الطفل ، و لأن الطفل يحتاج في نمو شخصيته للإحساس بالثقة و التقدير الاجتماعي فإن الرسول صلى الله عليه و سلم كان يمنحهم احترامه فيسلم عليهم إذا مر بهم كما يسلم على الكبار ، كما كان يوصي صلى الله عليه و سلم المسلمين بالعدل بين أبنائهم و ينهي عن تفضيل بعضهم على بعض في المعاملة)) (25)

و على هدي هذا المنهج المحمدي سار أصحابه يقتفون آثاره و يرسخون وصاياه و يلتزمون بما دعاهم إليه في شأن الاهتمام بالطفولة ورعايتها حتى أننا نجد أن خليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعزل أحد عماله -لا عن تقصير أو فساد- حين تعجب هذا العامل من تقبيل عمر صبيا له فقال : ((تقبله و أنت أمير المؤمنين ، لو كنت أنا ما قبلته ، فقال عمر رضي الله عنه : أنت لا ترحم ولدك فكيف ترحم الناس)) (26) و فصله عن عمله أو أعفاه . و يبلغ الحرص بعمر في هذا مستوى يدعو أحيانا إلى الإكبار و التقدير لهذه الشخصية الإسلامية ، فقد كان رضي الله عنه ((أول من فرض للطفل عطاء من بيت المال بعد أن يطم و لما لاحظ أن الناس أصبحوا يتعجلون بفطام أبنائهم أرسل مناديه يقول: لا تعجلوا بفطام أبنائكم و فرض للطفل عطاء من يوم مولده ، و لشد إحساسه الإنساني فرض للطفل غير الشرعي عطاء لأنه اعتبره غير مسؤول عن جريمة لم يكن هو طرف فيها)) (27). و يدعو في قولته الشهيرة إلى إعداد النشء القوي الصالح ليؤمن على مصير الأمة ، فيقول ((علموا أولادكم السباحة و الرماية و الفروسية واروهم ما سار من المثل و حسن من الشعر)) (28).

و تستمر العناية بالطفل عبر العصور المتلاحقة لتكوين رجل المستقبل الذي يعول عليه الإسلام في رفع رايته و الذود عن حياضه يستلهم المعلمون و المربون و من عهد إليهم رعاية الأطفال و قواعد التربية من التراث و سير السلف الصالح ، لأنها القدوة والنموذج و المثل .

يجمل حسن حنورة جهود السلف في تربية أطفالهم وتأديبهم في النقاط التالية : ((القرآن الكريم و السنة النبوية - المختارات الجيدة و المناسبة من الشعر - الخطب والمحاورات المأثورة - سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و غزواته و الحروب

الإسلامية و تاريخ العرب - المواعظ الدينية و الأحكام و الحكم و الأمثال المأثورة والآداب العامة))⁽²⁹⁾.

و لم تغب الطفولة عن اهتمام أدباء الأمة اللاحقين فأولوها من الاهتمام ما هي أجدر بها ، فها هو الجاحظ يعرض انتقادا لبعض سلوكيات الأمهات في معاملة أبنائهن فيسبين لهم بكاء شديدا يقول ((فإذا كانت الأم جاهلة حركته في المهد حركة تورثه الدوار أو نومته بأن تضرب بيدها على جنبه و متى نام الصبي و تلك القرعة و اللوعة أو المكروه قائم في جوفه و لم يعلل بعض ما يلهمه ويضحكه و يسره فإنه ذلك مما يعمل في الفساد و ترادف حتى يخرج الصبي مائعا))⁽³⁰⁾.

و هذه و لا شك إلتفاتة هامة و نصيحة قيمة يقدمها الجاحظ للأمهات من أجل تربية و تنشئة صغارهن نشأة سوية بعيدة عن العقد و الأمراض النفسية، و لذلك فمن الإجحاف أن نقول مثلا أن أديبا كالجاحظ لم يعتل في خاطره هذا الإحساس و الوجدان المشبع بالرهافة تجاه الطفل .

فلا عجب حينئذ حين نرصد و مضات طفولية تتجلى من خلال كتاباته المتنوعة، و هو القائل مثلا معللا بكاء الصغير ((إن بكاء الصبي في مهده يدل على خلاف ما يدل عليه ضحكه فليس غريبا أن نتلمس عنده هذا البريق الطفولي في ثنايا سطورهِ و أثارهِ المتعددة و المتنوعة و قد استنبط بقلمه أغوار النفس البشرية و عمد إلى تخليدها في أكثر من موضع بمعيار سيكولوجي نافذ البصيرة عميق الدراية والخبرة))⁽³¹⁾.

أما إخوان الصفا فقد تفتنوا إلى هذا الجانب "الطفل" و دعوا في رسائلهم إلى الحذر و الحيطة في معاملة الصغير و الحرص السليم على استغلال هذه المادة البكر أو الطبيعة الطيبة للأطفال لترسيخ العلوم و الآداب في نفوسهم المهيأة طبعاً لتقبل كل شيء ((و اعلم أن مثل أفكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلوم و اعتقاد من الآراء (وهي حالة الصبيان والشباب) كمثل ورق أبيض لم يكتب فيه شيء حقا كان أو باطلا ... فإذا كان الأمر كما وصفت فينبغي أيها الأخ ألا تشغل بإصلاح المشايخ الهرمة ولكن عليك بالشباب السالمي الصبور المبتدئين بالنظر في العلوم))⁽³²⁾ و كأنهم يتكئون في دعوتهم هذه على قول الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم في حديثه الشريف ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))⁽³³⁾ ، وهي قاعدة رائدة

في مجال التربية و التوجيه سبق بها أسلافنا هذا الغرب قبل أن تظهر نظريات التربية الحديثة و علم نفس الطفل .

و لن نبرح هذا التراث و إشارات المتعلقة بالطفل و عالمه دون أن نعرج على أحد أقطاب هذا الماضي التليد محاولين استتطاق بعض الشواهد التي تؤيد دعوانا فيما نذهب إليه ، يقول الغزالي في هذا الشأن ((اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها و الصبي أمانة عند والديه و قلبه الطاهر جوهره نفيسة ساذجة خالية من كل نقش و صورة و هو قابل لكل ما نقش عليه و مائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير و علمه نشأ عليه و سعد في الدنيا و الآخرة و شاركه في ثوابه أبواه و كل معلم ومؤدب ... و على الولي أن يصون الصبي من الآثام بأن يودبه و يهذبه و يعلمه محاسن الأخلاق و يحفظه من ثرثار السوء و لا يعودده التتعم و لا يحبب إليه الزينة و أسباب الرفاهية فيقطع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن نراقبه من أول مرة))⁽³⁴⁾ .

و تلك فيما نعتقد جوهر التربية و أساس الإصلاح حتى يشب الصغير و قد اخشوشن -لأن النعيم لا يدوم- فيذوق حلو الحياة و مرها حتى يشتد عوده و يصبح بعد ذلك -لا خوف عليه- من مواجهة شدائد الحياة متمسحا بالعلم و الأخلاق و العزيمة .

و يذهب الغزالي في مقام آخر إلى تحميل مسؤولية الصغير وزرها أو ثوابها إلى وليه مشددا على ذلك بقوله : ((إن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لجوجا ذا فضول و ضحك و كيد و مجانية و إنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب))⁽³⁵⁾ ويقول : ((... فإن عود الخير و علم نشأ عليه ، و إن عود الشر و أهمل إهمال البهائم شقي و هلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له))⁽³⁶⁾ .

إن هذه الحقوق التي دعا إليها الغزالي هي نفسها التي يتشدد بها الغرب اليوم ومن خلال ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الطفل بأنه السباق إليها زورا و افتراء و كأنني بمداد هؤلاء الأقدمين يكاد يخرج من بطون كتبهم ليرد افتراءاتهم إلى نحورهم تأكيدا لهذه الحقيقة التاريخية ((فالإسلام أعلى حقوق الطفل قبل أربعة عشر قرنا و نظر إليها نظرة شاملة عميقة متكاملة و تجاوز في ذلك كل ما ادعته المذنيات المعاصرة و الفلسفات

الحاضرة ، و قد ألفت في الطفولة كتب كثيرة يكفي أن نشير إلى واحد منها يجمع أحكام الطفولة في الفقه و هو " جامع أحكام الصغار" لمحمد بن محمود الأشروشي المتوفى سنة 632هـ . و الذي نشر في أربعة مجلدات كبيرة بتحقيق عبد الحميد الخالق البيزلي . بغداد سنة 1982))⁽³⁷⁾.

و عموما فإن هذه الإشارات أو الحقائق التاريخية تقف شاهدا أو بينة على صدق دعوانا في أن تراثنا العربي القديم منذ جاهليته كان يحمل في طياته بذور هذا الأدب حتى و إن لم تتضح معالمه بشكل واضح جلي ((و يحسن بنا أن نذكر دليلا على عناية أجدادنا و علمائنا بالأطفال بعض أسماء الكتب التي تناولت الطفولة بأبحاث و موضوعات متخصصة و هي تدل على النظرة الشاملة التي تفرد بها هذا التراث من قيم و عقيدة و صحة و رياضة : إحياء علوم الدين للغزالي- أيها الولد للغزالي- جامع بيان العلم و فضله لابن عبد البر- تحفة المودود بأحكام المولود لابن قيم الجوزية- جامع أحكام الصغار لمحمد بن محمود الأشروشي- تدبير الحبالى و الأطفال و الصبيان للبلدي أحمد- كتاب أبناء نجباء الأبناء لابن ظفر المغربي المكي- العقد الفريد لابن عبد ربه- آداب المعلمين لابن سحنون- تذكرة السامع و المتعلم في آداب العالم و المتعلم لابن جماعة الكفائي- مقدمة ابن خلدون- تأديب الناشئين بأدب الدنيا و الدين لابن عبد ربه- كتاب العيال للحافظ بن أبي الدنيا))⁽³⁸⁾.

فهذه المؤلفات و ما تضمنته من أخبار و قصص و مغاز و آراء في التربية تبقى منارة شامخة تهئى السبل أمام كتاب أدب الطفل العربي المعاصرين لينهلوا منها بغية إخراج أدب يتوافق مع عقيدتنا و انتمائنا و حضارتنا ، وبإمكان هؤلاء المبدعين -الذين يشكون فقرا في هذا- ((أن يحولوا هذا التراث المطروق في حكاياتنا و أخبارنا و نوادرنا إلى أعمال تقدم إلى الأطفال و لا ينقصها عنصر واحد من عناصر التشكيل الفني الناجح الذي نجد فيه ما نستهدفه و نبثه في أطفالنا من توجهات و إرشادات و متع و تسلية و ثقافة و معرفة متخصصة و معلومات عامة ، فأخبار العرب و أبطالهم و شعراؤهم و محبوبهم و قصص قليلة و دمنة و حكايات البغدادي و كتب الرحلات و الأسفار و بخلاء الجاحظ و السير الشعبية أمثال عنتره و أبو زيد الهلالي و حكايات ألف ليلة و ليلة ... كل هذا يشكل لدى الباحثين ينبوعا يمكن الباحثين و الدارسين و المبدعين في ميدان أدب الأطفال أن يجدوا فيه مادتهم))⁽³⁹⁾ و لا حجة لهم فيما يدعون و أي دليل بعد هذا الذي أوردناه يريدون اللهم إلا إذا كان النقص فيهم عجزا عن فهم هذا التراث و حسن توظيفه.

الهوامش

- ¹ - أحمد زلط . أدب الطفولة مفاهيمه رواده. الشركة العربية للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1. 1990م. ص41- 42.
- ² - ناصر يوسف أحمد. القصص الفلسطينية المكتوب للأطفال .منظمة التحرير الفلسطينية دائرة الثقافة. ط1. 1989. ص 18.
- ³ - عبد الرزاق جعفر. أدب الأطفال منشورات إتحاد الكتاب العرب .دمشق. 1979م. ص225.
- ⁴ - الفرقان الآية 74.
- ⁵ - الكهف الآية 46
- ⁶ - عبد الفتاح أبو معال. أدب الأطفال دراسة وتطبيق. دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان . الأردن. ط2. 1988م. ص 32.
- ⁷ - محمد مرتاض. من قضايا أدب الطفل دراسة تاريخية فنية. ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر. 1994م. ص30.
- ⁸ - عبد الرؤوف أبو السعد. الطفل وعالمه الأدبي .دار المعارف .القاهرة. ط1. 1994. ص13.
- ⁹ - ينظر. عبد الرزاق جعفر. أدب الأطفال .ص236 وما بعدها.
- ¹⁰ - ابن عبد ربه. العقد الفريد. القاهرة. ج1. ص298.
- ¹¹ - علي أحمد عبد الهادي الخطيب . الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين. مطبعة الأمانة القاهرة. ط1. ص 80.
- ¹² - عبد الرؤوف أبو السعد. الطفل وعالمه الأدبي. ص 202.
- ¹³ - الأعشى .الديوان. داربيروت للطباعة والنشر. 1986. ص200.
- ¹⁴ - أحمد خالد .ابن الرومي. الشركة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1977. ص141- 142 .
- ¹⁵ - ابن هشام . السيرة النبوية. تحقيق وضبط وشرح مصطفى السقا .إبراهيم الأبياري . عبد الحفيظ شلبي. دار إحياء التراث .بيروت .لبنان. ج1. ص265.
- ¹⁶ - محمد أديب الجاجي. أدب الأطفال في المنظور الإسلامي دراسة وتقويم. دار عمان للنشر والتوزيع. عمان الأردن. ط1. 1999. ص31.
- ¹⁷ - المائدة الآية 11
- ¹⁸ - الإسراء: 32
- ¹⁹ - آل عمران: 13.

- 20- غافر: 67.
- 21- وليد منير . النص القرآني من الجملة إلى العالم. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. القاهرة. ط1. 1997. ص 46
- 22- عن عبد الله ناصح علوان . تربية الأولاد في الإسلام. دار الشهاب . الجزائر. ج2. ص. 654.
- 23- ابن قيم الجوزية . تحفة المودود بأحكام المولود. تحقيق محمد بشير عيون. مكتبة المؤيد الطائف .السعودية. ط3. . 1991. ص 135.
- 24- محمد أديب الجاجي. أدب الأطفال في المنظور الإسلامي. ص23.
- 25- يوسف القرضاوي . الطفولة في الإسلام. جريدة الخبر. 9 جويلن 1997. الجزائر. ص18.
- 26- محمد أديب الجاجي. المرجع السابق. ص 23- 24.
- 27- روكس بن زايد العزيز. الطفل في الأدب العربي. مجلة الهلال. ع 6 . 1975. دار الهلال. مصر. ص108.
- 28- علي و ناجي الطنطاوي : أخبار عمر بن الخطاب . المكتب الإسلامي . بيروت . ط 8 . 1983 . ج 1 . ص212.
- 29 - د. أحمد حسن تنورة : أدب الأطفال . مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع . الكويت . ط 1 ص. 17.
- 30 - الجاحظ : الحيوان . تحقيق و شرح عبد السلام هارون . دار الجيل . بيروت . لبنان . 1992 . ص287.
- 31- الجاحظ : المصدر السابق : ص145.
- 32- إخوان الصفا و خلان الوفاء . إعداد و تحقيق د/عارف تامر . منشورات عويدات . بيروت . باريس . ط 1 . 1995 . ج 4 . الرسالة الرابعة . ص48-49.
- 33- أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين مضاف إليه تخريج الحافظ العراقي . دار الغد العربي . القاهرة . ط 2 . 1987 . ج 8 . ص 134.
- 34- أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين . ج3 . ص 57.
- 35- أبو حامد الغزالي : المصدر السابق . ج3 . ص73.
- 36 - الغزالي : المصدر السابق . ص62.
- 37- محمد حسن بريغش : أدب الأطفال أهدافه سماته . مؤسسة الرسالة للطبع و النشر و التوزيع . بيروت . ط3. 1998. ص18.
- 38- نفسه . ص 22-23
- 39- د. عبد الرؤوف أبو السعد : الطفل و عالمه الأدبي . ص15.